الوحدة الوطنية
خلال فترة كفاح مصطفى كامل ومحمد فريد

دكتور سمير محمد طه
أستاذ مساعد التاريخ الحديث
كلية الآداب بسوهاج ـ جامعة أسيوط

تعاقبت على البلاد الأحداث الجسام فى تلك الفترة من الزمن ١٨٨٢ — ١٨٩٢ فلم تحرك من الأمه ساكنا ، و ذلك أول أثر للاحتلال الأجنبى فانه يميت روح الوطنية والشجاعة فى النفوس ، وألغى الدستور ، وسلخ السودان ، وألغى الجيش والبحرية ، وأعلنت الحكومة البريطانية فى برقية يناير سنة ١٨٨٣ ، يناير ١٨٨٤ ، إصرارها على وضع مصر فى شبه حمايتها ، وتحتيمها خضوع وزراء مصر لأوامر المعتمد البريطانى ، وتولى الإنجليز كبرى الوظائف الحكومية ، ولم يكن ثمة مظهر من مظاهر المقاومة . (١)

وقد أباح الإحتلال بعض الوظائف التى احتكرها الأقباط للشوام ، والسبب فى ذلك خلق نوع من المنافسة بينهم و بين الأقلية الأخرى وهى الأقباط ،فى السعى للتقرب من الاحتلال ولطبعهم بالثقافة الإنجليزية وليكون له الفضل من بعد إذا هو أعادهم إلى هذه الوظائف وقد أعادهم فعلا ، فأصبح الكثيرون منهم فى المصالح الأميرية ، وخاصة أن الكثيرين منهم تعلموا فى مدارس الأمريكان وقد ساعدت هذه الدراسة الإستعمارية فى خلق جيل من الأقباط مال إلى ، الإنجليز بحكم الثقافة التى تشربها(٢) .

وقد تصدى مصطفى كامل لهذه السياسة خشية التفريق بين المسلمين و الأقباط ،

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال (تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢ . ص ٢١٣ .

(٢) مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ — ١٩١٤ ، ص ٩٩ .

وقال فى خطبة بالاسكندرية يوم ٨ يونيوسنة ١٨٩٧ «إن المسلمين والأقباط شعب واحد مرتبط بالوطنية والعادات والأخلاق وأسباب المعاش ولا يمكن التفريق بينهما مدى الأبد (١)» وقد امتدحت جريدة الوطن تحت عنوان الخطباء فى مصر هذه الخطبة ، ونقلت النص السابق (٢) .

وقد صدمت الحركة الوطنية فى مستهل سنة ١٨٩٩ ، بتوقيع إتفاقية السودان فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ ، تلك الإتفاقية التى خولت انجلترا رسميا حق الاشتراك فى إدارة شئون الحكم فى السودان ، ورفع العلم الانجليزى إلى جانب العلم المصرى (٣) ، وكان كرومر قد قابل الخديوى فى ١٧ يناير وأشار إلى أن اللورد سالسبورى بعث إليه بصورة اتفاق انجليزى — مصرى يتعلق بالسودان وأنه سلم نسخة منه إلى بطرس غالى باشا وزير الخارجية ، ثم مالبث مجلس النظار أن أقر المشروع على الرغم من أن الخديوى كان يرى أنه لا يجوز للحكومة المصرية عقد اتفاق كهذا لأن فيه اعتداء على السيادة العثمانية ، وقد تم توقيع الإتفاق الثنائى حيث وقعه كرومر عن الحكومة البريطانية وبطرس غالى باشا عن الحكومة المصرية (٤) .

وقد كان رأى مصطفى كامل أنه إذا كانت وزارة مصطفى فهمى قد اضطرت لتوقيع الإتفاق فإنه كان عليها أن تستقيل بدلا من أن تفرط فى حقوق مصر (٥). وقد وقعت هذه الإتفاقية فى وقت تصاعدت فيه الحركة الوطنية المصرية بقيادة مصطفى كامل وقد تعددت مظاهر هذا النمو وكان تأسيس اللواء عام ١٩٠٠ ، كصحيفة ناطقة بلسان جماعة الوطنيين يعتبر نقطة تحول واضحة فى سير الحركة الوطنية (٦) .

خشى كرومر من نمو الحركة الوطنية ولذلك سعى إلى تعميق الكراهية الدينية فى نفوس المسيحيين بأن قال «إن معظم النقائص الأخلاقية فى الأقباط ناشئة عن

(١) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية (تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨) ، ص ٤٤٨

(٢) الوطن : ١١ يونيه سنة ١٨٩٧

(٣) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ، ص ١٣٢

(٤) على محمد بركات : السياسه البريطانيه واسترداد السودان ١٨٨٩ — ١٨٩٩ . ص ٢٢٧

(٥) اللواء : ٢١ يناير سنة ١٩٠٠

(٦) دكتور يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصريه ، ص ١٤٥

الإضطهاد«مستثيرا لهم بذلك ، وأكد كرومر سياسته هذه بما أخذ يرمى به الإسلام من أنه« يحول دون المشاركة فى حياة الحضارة الإنسانية .»

وقد شارك كرومر فى هجومه على الإسلام كتاب كثيرون من الإستعماريين ، الذين حرصوا حرص اللورد كرومر على تكريس الشقاق الدينى ، لشق الصنف الوطنى ، ومن هؤلاء ستانلى لين بول ، وديسى الذى حرص على أن يثير الأقباط بترديده أن الصحف الوطنية ، كانت مستحسنة اضطهاد الأقباط واحتقارهم (١).

وقامت الصف الأوربية بحملات على الإسلام ورد مصطفى كامل على هذه الحملات فى خطبة له بالأسكندرية فى ٢ يونيو سنة ١٩٠٠ « قد يظن بعض الناس أن الدين ينافى الوطنية ، أو أن الدعوة إلى الدين ليست من الوطنية فى شىء . ولكنى أرى أن الدين والوطنية توأمان متلازمان ، وأن الرجل الذى يتمكن الدين من فؤاده يحب وطنه حبا صادقا ويفديه بروحه وما تملك يداه« وحرص مصطفى كامل على الوحدة الوطنية فقال فى نفس الخطبة :«كيف يستطيع رجل وطنى أن يدعو للشقاق والبغضاء ، وهذه الدعوة مناقضة للوطنية الصحيحة ، فالأقباط أخوة لنا فى الوطن وتجمعنا بهم أشرف رابطة ، وقد عشنا معهم القرون الطوال على أتم وفاق وأكمل اتفاق (٢) .

تقاعست سلطات الاحتلال عن منح المصريين قسطا من التعليم العالى ، وجعل اللغة العربية وسيلة للتعليم بالمدارس بدلا من اللغة الإنجليزية ، وقد أدارت الحملة العنيفة ضد الاحتلال وقتئذ صحيفة المؤيد (٣) .

ولذلك نادى مصطفى كامل بالتعليم القومى ، وقد أسس اثنان من الشبان مدرسة أهلية فى مارس سنة ١٨٩٩ سمياها باسم مصطفى كامل ، ثم قدماها

---

(١) مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنيه .ص ص٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٣) دكتور محمود حلمى مصطفى : دراسات فى تاريخ مصر السياسى (سياسة انجلترا الداخلية من ١٨٨٢ – ١٩٥٢) ، ص ٣١

بعد ثلاثة أشهر لمصطفى كامل ليتولى إداراتها ونفقاتها ، فقبل ذلك على أن يصبح شقيقه مديرا لها ونشره بالمؤيد البيان التالى : « وقد رأيت بنفسى فى أغلب مدارس أوروبا اهتماما فائقا بالدين المسيحى للناشئين ، لذلك عولت على جعل الغرض الأول من المدرسة ترقية الملكة الإسلامية عند التلاميذ ، وتمكين مبادىء محبة الوطن والإتحاد والائتلاف من نفوسهم ، وتقديم اللغة العربية على كل لغة ، مع ترك الحرية لأبائهم فى الاختيار لهم بين اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية ، ورغبة منى فى نفع أبناء الفقراء قررت قبول ثلاثين فى المائة منهم مجانا[1] ».

ولا شك أن الهجوم على الإسلام هو الذى دعا مصطفى كامل إلى ذلك وإن كان قد أوضح فيما بعد أسباب طلبه إدخال الدين فى التعليم وذلك فى خطبته بالأسكندرية يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ « قال أعداؤنا أيضاً : إننا نخلط الإسلام بالوطنية ونتكلم دائما عن المسلمين ونطلب إدخال الدين فى التعليم ، وفسروا ذلك بأنه تعصب ذميم ، نحن إذا طلبنا إرشاد أمتنا إلى الحقيقة الدينية فما ذلك إلا لأن الأضاليل والأكاذيب والخزعبلات التى راجت بين العامة باسم الدين قلبت حقيقة هذا الدين فصار الجهل والتأخر والإنحطاط وكل الآفات مما يلقى على الدين وينسب إليه والدين منه براء ، لذلك كان من المستحيل إحياء الأمة وإنهاضها بغير الحقيقة الدينية ، لأنه لا سبيل لابادة جيش الباطل الذى ألف ونظم باسم الدين إلا بالدين نفسه[2] ».

ويلاحظ من هذا النص أن مصطفى كامل لم يكن متعصبا ولكنه أراد أن يرفع الجهل والتأخر عن الأمة ، وقد اتهم مصطفى كامل بذلك أيضا بسبب تأييده لحركة الجامعة الإسلامية ، ولكن الحقيقة أن مصطفى كامل التجأ إلى الدول الأوربية لاكراه الإنجليز على الجلاء عن مصر وكان ذلك أمرا تقتضيه الظروف الدولية المحيطة بالقضية المصرية فى ذلك الحين ، وهى الظروف المرتبطة بالتوازن الدولى فى البحر المتوسط وبالمحافظة على كيان الدولة العثمانية ، كما كانت تقتضيها الصفة

(١) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ، ص ص ١٤١ ، ١٤٢ .
(٢) المصدر السابق : ص ص ٥٠٩ ، ٥١٠ .

الدولية للمسألة المصرية ، ولكن مصطفى كامل لم يلبث طويلا أن خاب أمله فى أوربا وخصوصا فى فرنسا ، وكان ذلك على مرحلتين ، المرحلة الأولى بعد حادث فاشوده عام ١٨٩٨ ، والمرحلة الثانية بعد الإتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا عام ١٩٠٤ ، ومنذ ذلك الحين أخذ رجاء مصطفى كامل فى تدخل أوربا لإنقاذ مصر يضعف وإن عاد فلجأ إلى أوروبا بعد حادث دنشواى ليستثيرها على الإحتلال .

كان طبيعيا أن يؤيد مصطفى كامل حركة الجامعة الإسلامية تحت لواء السلطان العثمانى . وذلك لأنه كان يعتمد فى مطالبته بالجلاء وتمتع مصر باستقلالها الذاتى على مالتركيا من حقوق دولية فى مصر تكفلها معاهدات واجبة الإحترام ولهذا كان يدعو الشعوب الإسلامية إلى الإلتفاف حول الدولة العثمانية وشد أزرها[١].

كان مصطفى كامل يدعو لحركة الجامعة الإسلامية وذلك ليحصل على الاستقلال ويدعو فى نفس الوقت للاتحاد والجهاد فى سبيل الإستقلال ،فقد ذكر فى خطبته بالأسكندرية فى ٧ يونيو سنة ١٩٠٤ :

فأعطو للاستقلال وإجعلوه أنشودتكم التى تترنمون بها على الدوام ؛ واتركوا محبته كأثمن وأقدس ميراث ؛ ولا تعدوا السنين عليه ؛ لان ماتجدونه طويلا فى حياة الفرد منا ؛ يعد يوما أو بعض يوم فى حياة الشعوب ؛ وثقوا بأننا بالغوه ؛ لأن الله الذى يعاقب الشعوب المنقسمة على نفسها بسلبه يكافئها يرده متى اتحدت واتبعت إرادته وعلمت أنه خير ما وهب الرحمن للانسان[٢].

لقد نادى مصطفى كامل بالإتحاد للحصول على الإستقلال وجاءت حادثة دنشواى لتقوى أواصر ذلك الإتحاد ، حدثت تلك الحادثة فى ١٣ يونيو سنة ١٩٠٦ ، وفى ٢٠ يونيو أصدر بطرس غالى باشا وزير الحقانية بالنيابة قرارا

---

(١) عبد العظيم محمد رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ الى سنة ١٩٣٦ ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ، ص ١٧٧ ، ١٨١ .

بتشكيل المحكمة المخصوصة لمحاكمة المتهمين فيها برئاسة بطرس باشا غالى بنفسه، وبلغ عدد المتهمين اثنين وخمسين منهما ، حكم بالإعدام على أربعة منهم[١].

وقد ترتب على وحشية القمع التى تعرضت لها دنشواى ، أن ماجت البلاد بالغضب، وقد أدى كذلك أحداث دنشواى الى اتساع دائرة تأثير مصطفى كامل فكثرت اضرابات الطلبة واتسع انتشار الصحف الوطنية ، وعزفت الصحف عن الكتابة فى موضوع الجامعة الإسلامية وشارك الأقباط فى موجة النقد الموجه ضد الاحتلال ، وبذلك حقق مصطفى كامل الوحدة بين المسلمين والأقباط التى عمل طويلا من أجلها[٢].

و لذلك حرصت جريدة مصر المعبرة عن رغبة الإستعماريين على الدفاع عن عمل قوات الاحتلال فى دنشواى ، وأثارت المسيحيين المصريين ، بأن ضرب الضباط الإنجليز سببه أنهم نصارى[٣].

وقد أدت هذه الإثارات إلى الشقاق بين عنصرى الأمة ، وكان لتزايد رأس المال الأجنبى فى مصر فى بداية القرن العشرين حتى وصل إلى ٨٧,١٧٦,٠٠٠ فى عام ١٩٠٧ أثره فى الشقاق، فقد صاحب ذلك نشاط الأجانب مما زاد من حقد أهل البلاد على هؤلاء الأجانب ، ورأوا فى نشاطهم الصناعى والتجارى وأرباحهم السريعة ابتزاز لهم وزاد من ألم شعورهم هذا أنهم مسيحيون ، وكان الإحتلال مسيطرا على البلاد ، وكان التفاعل فى المجتمع المصرى يجرى بحيث يكون المصرى المسيحى أو الشرقى المسيحى أقرب إلى الأجنبى المسيحى[٤].

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٠٣ ، ٢٠٤

(٢) مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركه الوطنيه ص ص ٢٧ ، ٢٨

(٣) مصر : ١٦ يونيه سنة ١٩٠٦

(٤) صبحى وحيدة : فى أصول المسألة المصرية ، ص ص ١٨٢ — ١٨٥

كما رأى كرومر انتهاج خطة جديدة فأخذ يعمل لتحريض جماعة من ذوى الإعتدال فى الرأى من بين المصريين الذين يدينون بمبدأ التعاون مع انجلترا لتأسيس حزب جديد ينشر آرائهم ، فكان من نتائج مساعيه حزب الأمة . الذى تأسس بعد أن غادر كرومر البلاد[١]. وكان هذا الحزب يرى العمل على الإستقلال الذاتى فى حدود الاحتلال البريطانى ، وهو حزب أصحاب الأراضى الزراعية الكبيرة ، وكان همه المشاركة فى السلطة مع سلطات الإحتلال عن طريق ممثلى الأمة[٢].

وقد اضطر مصطفى كامل وأنصاره الذين لا يحصى عددهم ، والذين يتكلمون باسم الأمة المصرية بأسرها ، أمام هذه المناورات الجديدة للمحتلين إلى إعلان الحزب الوطنى المصرى ، وقد أدى مصطفى كامل فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ بخطبة رائعة بسط فيها كل مبادىء حزبه محددا سياسته[٣] .

وما أن دعا مصطفى كامل إلى الإنضمام للحزب الوطنى حتى انهالت الطلبات للانضمام وعقدت أول جمعية للحزب بمصر فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ بدار اللواء[٤]. وقد تليت لائحة الحزب ، وصدق عليها بعد المناقشة وهى من عشرة بنود ، ويهمنا البند السابع : تنوير الشعب المصرى بجميع الوسائل ، والدعوة إلى الوفاق والوحدة بين عنصرى الأمة المسلمين والأقباط ، وبيان الواجبات المفروضة على الجميع تجاه البلاد وتحقيق هذه الواجبات مع تأكيد الأمن والأمان فى جميع أنحاء مصر[٥]. وقد حرص مصطفى كامل فى خطبته فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ والتى دعا فيها إلى الإنضمام إلى الحزب الوطنى على تأكيد الوحدة الوطنية فقال فى هذه الخطبة : «متطرفون : لاننا نقول للامة اعملى وحافظى على السكينة ،

---

(١) دكتور محمود حلمى مصطفى : دراسات فى تاريخ مصر السياسى . ص ٣٥ .

(٢) دكتور محمد أحمد أنيس : تطور المجتمع المصرى من الاقطاع إلى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ص ١٧٢ .

(٣) Madame Juliette Adam : L'Angleterre en Egypte, p. 193.

(٤) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٢٦٥ .

(٥) Madme Juliette Adam : L'Angleterre en Egypte p. 195.

إياك والقلاقل فهى تخدم العدو وتضر بالوطن ، إياك والإنقسامات فانها منشأ الخراب والدمار ، إياك وهوس العدوات الدينية فانها آفة الآفات وجالبة المحن . .

،، متطرفون : لاننا نردد تهم العدو ونثبت للعالم كله أننا متمدنون وأنه ليس للتعصب بيننا وجود وأن الإسلام عامل قوى لترقية الأمة ونشر أنوار المدنية فيها ...

،، أيها السادة : لا يجهل أحد منكم أن الحركة الوطنية المصرية أزعجت محبى الإستعمار من الإنجليز فحاربوها بدنشواى فخابو ، وبزيادة جيش الإحتلال فأخفقوا وبتهمة التعصب الدينى ففشلوا وأضحكوا العالم طر (١) .

لقد أدت هذه الوحدة بين عنصرى الأمة والتى قادها مصطفى كامل إلى جزع الإستعمار ، وحاول بقد رطاقته ضرب هذه الوحدة ، وقد كان لمؤامرات الإستعمار أثره فى وقوع الشقاق ، ودخل هذا الشقاق إلى دور خطير فى سنة ١٩٠٨ ، وهو العام الذى شهد الحملة الوطنية الكبيرة من أجل الدستور ، واصطبغت الحملة القبطية بالاتهام الإستعمارى التقليدى للحركة الوطنية بأنها حركة تعصب إسلامى ، وقد كان سر خوف عملاء الإحتلال من الأقباط فى مصر من حركة الوطنيين راجعا إلى أن الوطنيين الأقباط قد اشتركوا فى الحملة من أجل الدستور ، لذلك فان هذه الوحدة الوطنية التى بدت بين عنصرى الأمة، قد دفعت الاستعمار إلى شن حملته الشديدة من الإتهام بالتعصب وسعى أنصاره فى مصر من الأقباط إلى التقدم بمطالب مضادة لطلب الحكم النيابى بالكلام من المساواة بين المسلمين والأقباط فى الوظائف ، وشكل أخنوخ فانوس الإنجليكانى المذهب ما أسماه مجتمع «الإصلاح القبطى» الذى حاول صرف الكفاح الوطنى من أجل الدستور إلى مطالب طائفية .

وقد كشف ويصا واصف عما يسمى بمجتمع الإصلاح القبطى ودوره المشبوه فقال إن رئيسه بروتستنتى وليس له أن يتدخل فى شئون الطوائف الأخرى ،

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل . ص ص ٤٨٧ – ٤٨٩ .

كما هاجم سياسة إرسال الوفود إلى لندن للتحدث عن مطالب طائفية . وطالب ويصا واصف أولئك الذين يتشدقون بالمطالب الطائفية أن يطالبوا بالدستور وأن ينضموا للاحزاب السياسية لمناقشة مطالبهم كمطالب سياسية (١)

وقد ألقى ويصا واصف خطبة فى ٧ مارس سنة ١٩٠٧ بالأسكندرية باسم الحزب قال فيها : . . . . فلو لم يكن المسيحيون على تفاهم تام مع اخوانهم المسلمين فى فكرة الوطنية ما كانوا يشتركون معهم فى تلك المظاهرة الكبرى التى جرت لفقيد الشرق والوطنية ثم إن حزبنا أيها السادة مفتوح لمن يريد الدخول فيه من المسلمين والإسرائيليين والمسيحيين ، ومن دخلوا فيه تكون لهم جميع الحقوق ، ويجتمعون فى جميع الإجتماعات وينتخبون فى جميع الإنتخابات ، فان كل ما نعمله نعمله جهارا (٢) .

والحقيقة أن مصطفى كامل كان له الفضل فى جعل لواء الوطنية يضم المسلمين والإقباط ، ووضح ذلك فى اختياره لاثنين من خيرة الوطنيين وهما ويصا واصف ومرقص حنا باشا وضمهما إلى الحركة الوطنية . وكانا من أكبر أنصار وأعوانه فى الجهاد ضد الإستعمار .

الوحدة الوطنية خلال فترة كفاح محمد فريد

لم يكد ينتصف عام ١٩٠٨ حتى نجح الإستعمار مرة أخرى فى الإيقاع بالمسلمين والأقباط ، لضرب الحركة الوطنية ، وقد اتخذت الحركة بين الفريقين شكلا أخطر عندما كتب فريد كامل مقالا بعنوان الإنسانية تتعذب ، حاول أن ينال فيه من الإسلام(٣). وقد رد عبد العزيز جاويش على فريد كامل بمقال بعنوان الإسلام غريب فى بلاده استفز فيه الأقباط(٤).ولم يصدر الحزب الوطنى قرارا قاطعا بوقف هذه الإثارات(٥) .

---

(١) مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ص ص ١٠٢ ، ١٠٣

(٢) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد ، رمز الاخلاص والتضحيه ، ص ص ٦١ ، ٦٢

(٣) الوطن : ١٥ يونيو سنة ١٩٠٨

(٤) اللواء : ١٧ يونيو سنة ١٩٠٨

(٥) اللواء ٢٠ يونيو سنة ١٩٠٨

عاد محمد فريد إلى الوطن فى ١٦ يوليو سنة ١٩٠٨ وقام بتنظيم حملة من أجل الدستور ، ولكن واجهت الرجعية القبطية هذه الجهود الوطنية بهجوم دعائى فى شهر يوليو ، أغسطس وكان الدفاع فيه مركزا على الإحتلال واتفاق الخديوى معه ، ثم قام أخنوخ فانوس باعلان تأسيس الحزب المصرى ، الذى جاء برنامجه صورة من الدعاوى الإستعمارية التى وضع أساسها كرومر ، لقد كشفت محاولة أخنوخ فانوس هذه عن نجاح السياسة الإستعمارية فى ربط بعض عناصر الأقليات بها ، فيلاحظ أن أغلب العناصر التى اتجهت اتجاه فانوس كانت من الذين اجتذبتهم مدارس التبشير الإستعمارى فهجروا مذهب الكنيسة الوطنى وارتبطوا بالكنسيه الإنجلية .

ولكن هذا الحزب ولد ميتا أولا لأن صاحبه كان بروتستنتيا ويرأس المجلس الملى لهذه الطائفة ،ومن ناحية أخرى نشأ الحزب (١)عنصرى النزعة بما خالف الاتجاهات السياسية التى يجب أن تتوفر فى الأحزاب وقد شعر محمد فريد بضرورة الاتحاد أمام هذه المؤامرات فقال فى أكتوبر سنة ١٩٠٨ أن اتحاد الخصوم علينا يرشدنا إلى الواجب نحو بلادنا وهو أن نكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .(٢)

وسط هذا الشقاق اختار عباس بطرس باشا وبالرغم من تخوف جورست كما يذكر أحمد شفيق باشا عما يترتب عليه اختيار رئيس نظار قبطى من ردود فعل فى الدوائر الوطنية فان الخديو قد أصر على اختياره متعللا فى إصراره بأن كفاءة الرجل تجب أى اعتبار آخر مؤكدا بأن الرجل مصرى أولا وأخيرا(٣). ولكن بلنت يذكر فى رسالته إلى مؤتمر بروكسل أن جورست عمد إلى استخدام الوطنيين بديلا لاحداث التوازن بعد أن رأى حزبه من المسلمين المحبين للانجليز

---

(١) مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركه الوطنيه . ص ١٠٦ ، ١٠٧

(٢) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد . ص ٥٣٣

(٣) أحمد شفيق باشا مذكراتى فى نصف قرن – الجزء الثانى ، ص ١٥٩

يختفى ، وعين بطرس غالى باشا رئيساً للوزراء وسمح باعلان تعيينه بأسلوب طنان بأنه أول مصرى حقيقى يصل إلى هذا الشرف ،وكانت ضربة غادرة موجهة إلى وحدة هذين العنصرين داخل الحزب الوطنى ونسخة من سياسة فرق تسد التى تتبعها حكومتنا فى الهند ولسوء الحظ لم تنجح هذه السياسة .(١)

تشكلت وزارة بطرس غالى فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨ واسندت إليه نظارة المعارف العمومية . (٢) وقد أثار تعيينه الأقباط ضد المسلمين والمسلمين ضد الأقباط(٣) وهذا ما تريده . انجلترا بطبيعة الحال .

وقد شنت صحف الحزب الوطنى (اللواء . الدستور — ضياء الشرق — وادى النيل ، القطر المصرى) . . خلال عام ١٩٠٨ والشهور الأولى من سنة ١٩٠٩ حملة قاسية على الخديوى وعلى الوزارة البطرسية . أما الخديو فقد تزعم الحملة ضده كل من جريدتى اللواء والقطر المصرى وخاصة فيما يتعلق بسياسة الوفاق مع سلطات الإحتلال .(٤)

وعلى سبيل المثال قامت اللواء فى ١٥ نوفمبر بنشر مقال لعلى فهمى كامل بعنوان (هل تنسى دنشواى) أوضح فيه أن تنصيب بطرس باشا رئيس محكمة دنشواى يدل على أن المحتلين يشجعون من يخدمهم فى إهانة الأمة.(٥) .

وأمام هذا الهجوم من صحافة الحزب الوطنى عرضت فكرة إعادة تطبيق قانون المطبوعات ، واعترض بعض الوزراء على إصدار هذا القانون ، ولكن بطرس غالى باشا تحمس للقانون بل كان لديه الرغبة فى الإستقالة وتأليف وزارة

---

(١) Madame Juliette A Dam : L'Angleterre en Egypte. P. 203, 210.

(٢) الوقائع المصرية : ١٢ نوفمبر ١٩٠٨

(٣) Madame Juliette A Dam : L'Angleterre en Egypte. P. 201, 202.

(٤) دكتور خليل صابات وآخران : حرية الصحافة فى مصر ١٧٩٨ — ١٩٢٤ ص ١٥٠

(٥) اللواء : ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨

جديدة يخرج منها الوزراء المعترضون(١) وقد استصدرت سلطات الإحتلال قرار مجلس النظار فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ يبعث قانون المطبوعات لسنة ١٨٨١ والذى كان من مقتضى مادته الثالثة عشرة أنه يسوغ محافظة على النظام العام أو الدين أو الآداب تعطيل أو قفل أى صحيفة أو دورية بأمر من ناظر الداخلية بعد انذارين أو بقرار من مجلس النظار بدون انذار يصدره وإذا استمر صدور الجريدة أو الرسالة بعد تعطيلها أو قفلها فيعاقب كل من محررها وصاحبها بالغرامة وتقفل المطبعة التى طبعتها بأمر من نظارة الداخلية (٢) .

بدأت السلطات البريطانية بانذار اللواء ، ثم صدر حكم محكمة الإستئناف فى قضية مقال ذكرى دنشواى ، وعدل الحكم الإبتدائى من الغرامة إلى الحبس ثلاثة شهور على الشيخ جاويش ، وقد أثار الحكم والإنذار الجرائد الوطنية وكان هذا أسوأ ما نزل بصحيفة الحزب الوطنى فى الشهور السابقة على اغتيال بطرس غالى باشا(٣) . وقد أثر قانون المطبوعات فى كبح التطرف ، كما يذكر جورست فى الصحابة الوطنية(٤) .

أثار قرار مجلس الوزراء سخط الرأى العام على وزارة بطرس باشا وانهالت رسائل الاحتجاج وبرقياته ، وقامت مظاهرات الاحتجاج على تقييد حرية الصحافة . وكانت أول مظاهرة بعد ظهر يوم الجمعة ٢٦مارس من طلبة المدارس العليا والتجار والصناع — بحديقة الجزيرة — وهى مظاهرة احتجاج طافت شوارع العاصمة وبلغ عددهم ١٠,٠٠٠ وانتهت

---

(١) دكتور خليل صابات وآخران : حرية الصحافة فى مصر ، ص ١٥٥ .

(٢) دكتور محمود حلمى مصطفى : دراسات فى تاريخ مصر السياسى . ص ٥٧ .

(٣) دكتور خليل صابات وآخران : حرية الصحافة فى مصر ، ص ص ٢١٨ . ٢١٩ .

(٤)

Public Record Office:F.O. 407175 No. 37, Gorest to Grey, Cairo, May 6,1910.

من الوثائق المنشوره بملاحق كتاب : مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنيه ١٩٠٦ - ١٩١٤ ، وثيقة رقم (٧) ، ص ٢٢٣ .

المظاهرة فى ميدان الأوبرا(١) وذلك بعد أن اتجهوا إلى قصر عابدين ومجلس الوزراء والوكالات الإجنبية ، وتوضح التقارير البريطانية أن السلطات إلم تتدخل لفض هذه المظاهرات (٢)، ثم تجددت المظاهرات مرة أخرى فى ٣١ مارس بدعوى من اللواء فاجتمع الألوف فى حديقة الجزيرة ثم تحركوا فى مظاهرة كبيرة اخترقت كوبرى قصر النيل فميدان عابدين ، فاعترضتهم قوة البوليس ومنعتهم من الوقوف فى الميدان فاتجهوا إلى ميدان الأوبرا فهاجمتهم قوة البوليس وحالت دون متابعتهم السير وفرقت شملهم (٣) .

وتحاول التقاير البريطانية التقليل من أهمية هذة المظاهرة فتذكر أن عدد المشتركين كانوا ١٢٠٠ متظاهر معظمهم من العمال وبعض الطلبة وأنهم طافوا بالقاهرة وتشتتوا دون أن تقع أى حادثة .

وفى يوم الخميس الأول من أبريل اجتمع المتظاهرون أيضاً بحديقة الجزيرة حوالى عشرة آلاف شخص من مختلف الطبقات ، اخترقوا ميدان كوبرى قصر النيل وساروا إلى ميدان الأوبرا ، وهنا نشبت معركة حقيقية بين المتظاهرين وقوات البوليس بقيادة هارفى باشا حكمدار العاصمة ، فانهال رجال البوليس على المتظاهرين يضربونهم بالعصى الغليظة ويدوسونهم بسنابك الخيل فأصيب العديد منهم ، وانتهت المعركة بتفريق المتظاهرين .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد ، ص ١٢٤

(٢) Public Record Office : F.O. 407/174 No. 13, Graham to Grey, Cairo, April 4, 1909.

من الوثائق المنشوره بملاحق كتاب النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية وثيقه رقم (٣) . صص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد صص ١٢٤ ، ١٢٥

(٤) Public Record Office : F.O. 407/174, No. 13 Gragam to Grey, Cairo, April 4, 1909.

من الوثائق المنشورة بملاحق كتاب : مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركة

(٥) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد . ص ١٢٥ .

وقد حددت التقارير البريطانية عدد المشتركين فى هذه المظاهرة بحوالى ١٥٠٠ متظاهر جميعهم تقريبا من الطلبة ، وأنه قد استخدمت خراطيم الحريق لتفريق المتظاهرين ، وأنه اعتقل أربعة من هؤلاء المتظاهرين لمدة يومين وجرح شخصان جروحا طفيفة(١) والحقيقة أن الأرقام التى تذكرها التقارير البريطانية عن عدد المتظاهرين لا تتناسب مع وسائل القمع ، وأن ما ذكره الرافعى هو الأقرب إلى الواقع ، كما أرجعت الكتابات البريطانية هذه المظاهرات إلى تحريض عمال مطابع الجرائد بأن هذا القانون سيؤدى إلى إغلاق الجرائد وبطالتهم ، ومن ثم قاموا بهذه المظاهرات (٢) وفى هذا افتراء على الحركة الوطنية فى مصر .

لا شك أن هذه المظاهرات قد وحدت مرة ثانية بين المسلمين والأقباط أمام المستعمر ، وكان إبراهيم ناصف الورد انى أحد الخطباء ضد قانون المطبوعات ، وكان من زعماء المظاهرات ، وقد قبض عليه مع ثلاثة آخرين (٣).

توجت سلطات الإحتلال اجراءاتها فى محاربة الحركة الوطنية بسن القانون رقم (١٥) بتاريخ ٤ يوليو يوليو ١٩٠٩ الذى بمقتضاه صار من حق السلطة التنفيذية نفى المصرى لمجرد الشبهة بحجة أنه خطر على الا من العام (٤).

أمام هذا الإرهاب من سلطات الإحتلال اضطر محمد فريد للدعاية للقضية المصرية فى أوربا ، وكان من مظاهر ذلك انعقاد مؤتمر الشباب المصرى بجنيف فى سبتمبر سنة ١٩٠٩ ، وقد نظم هذا المؤتمر لجنة من شباب الوطنيين واحتضن الحزب الوطنى هذه لحركة ، وافتتح المؤتمر فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٠٩ واستمر

---

(١) Public Record Office : F.O. 407/174, No. 13 Graham to Grey, Cairo, April 4, 1909.

من الوثائق المنشوره بملاحق كتاب : مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنيه ، وثيقة رقم (٣) . ص ٢١٨ . ٢١٩ .

(٢) Lloyd, : Egypt Since Cromer, Vol. 1, p. 93.

(٣) مصر الفتاه : ٤ أبريل سنة ١٩٠٩

(٤) دكتور محمود حلمى مصطفى : دراسات فى تاريخ مصر السياسى ، ص‌ص ٥٩ ، ٦٠ .

انعقاده ثلاثة أيام(١) وقد أدلى محمد فريد بحديث لجريدة الأكلير يوم ٢٢ سبتمبر عقب انفضاض المؤتمر عن الوحدة الوطنية . . . . أن وجود الأحزاب الثلاثة ممثلة فى المؤتمر هو أول خطوة نحو الإتحاد ، ولم يبق أمامنا الا أن نستمر فى هذا الطريق ونحذوا حذو الأتراك الذين كونوا لجنة الإتحاد والترقى ، هذه اللجنة التى جمعت بين الأحزاب بدون نظر إلى اختلاف فى الدين أو فى الجنس ، وأنى مؤمل كثيرا فى الإتحاد . وبخاصة لأنه ليس لدينا اختلاف جنسى أو مذهبى يشبه الإختلاف الذى فى تركيا (٢) .

حانت فرصة ذهبية استلغتها الصحافة الوطنية وأخذت تندد بأعمال نظارة بطرس باشا غالى ، وذلك حينما عرض مشروع مد امتياز قناة السويس مدة ٤٠ عاما أخرى تبدأ بعد إنتهاء عام ١٩٦٨ ، وتدفع الشركة فى نظير ذلك أربعة ملايين من الجنيهات وجزءا من صافى أرباحها السنوية ، واعتقد جورست عندئذ أن الصفقة مجزية وأنها وسيلة لسد العجز فى الخزانة العامة وتفريج الضائقة المالية التى كانت تعانيها البلاد (٣) .

أثناء نظر المشروع أمام الجمعية العامة — والذى يؤيده رئيس مجلس الوزراء حدث حادث رهيب اذ قتل بطرس باشا غالى على يد ابراهيم ناصف الوردانى يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ ، وقد جزعت البلاد لهذا الحادث ، وأثار دهشة الناس كافة ، إذ لم يسبق أن تقدمه اعتداء مثله ، وقد اعترف الوردانى أن الدافع لجريمته ماعده خيانة من تصرفات بطرس باشا غالى ، وأهمها توقيع اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ ، ورياسة المحكمة المخصوصة فى حادثة دنشواى ، واعادة قانون المطبوعات ، ثم سعيه فى انقاذ مشروع مد امتياز القناة .

ولما كان الوردانى من شباب الحزب الوطنى ، فقد تشعب التحقيق ، وقبض

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد . ص‌ص ١٣٣ — ١٣٥ .

(٢) المصدر السابق : ص‌ص ٥٣٣ . ٥٣٤ .

(٣) دكتور محمود حلمى مصطفى : دراسات فى تاريخ مصر السياسى ، ص ٥٨ .

على الكثيرين منهم ، ثم أفرج عن بعضهم وحوكم الوردانى وصدر الحكم باعدامه ١٨ مايو سنة ١٩١٠ ، ثم نفذ فيه الحكم (١) .

لا شك أن مواقف بطرس باشا هى التى أدت إلى اغتياله وقد أوضحنا هذه المواقف وخاصة موقفه من حادثة دنشواى . . فالجريمة سياسية بحته ، ولكن وقوع الجريمة على رئيس وزراء قبطى أدى إلى الشقاق بين المسلمين والأقباط .

وتذكر جولييت آدم أن مقتل بطرس باشا غالى قد أنتج أثرين هما الخوف لدى جميع أعضاء الجمعية العمومية ، لتخليهم عن المشروع الذى يهم انجلترا ، وكذلك اثارة الأقباط ضد المسلمين والمسلمين ضد الأقباط ،وقد تقدم الأقباط بعد الحادث بشكوى إلى الخديوى طالبوا فيها بالمساواة بينهم وبين المسلمين ، مما أدى إلى الشقاق ، كان ذلك فى صالح انجترا (٢) .

وقام متعصبو الأقباط بالدعوة للثأر والانتقام وإلى الحكم المباشر للاستعمار ، وزيادة قوات الإحتلال .

وقد تصدى وطنيو الاقباط لهذهالدعوات للفتنة فنشر نصيف المنقبادى المحامى رسالة ينفى عن الحادث الصبغه الدينية ويهاجم بطرس غالى ويصفه بأنه من أشد أنصار الإنجليز ، كما دافع فى رسالته عن الوردانى ووصفه بالذكاء والثقافة والوطنية كما وقف الوطنيون الأقباط من أمثال مرقص حنا ومرقص فهمى وسينوت حنا أمام هذه الحملة المفرقة ، وكان مرقص فهمى فى مقدمة هؤلاء فهو الذى وضع المتعصبين الأقباط فى مأزق ، عندما قال بأن التعصب إذا كان موجودا فلا قضاء عليه إلا بالدستور ، ودعا الوطنيون الأقباط فى نادى النيل إلى جمع التوقيعات من أجل الدستور وتكون أيضاً وفد من كبار المحامين المصريين لمحاولة سد الطريق أمام الفتنة فى البلاد ، والتى باتت تهدد الجميع ، ودعا هذا الوفد إلى وقف الجدال فيما يخل بالوحدة الوطنية (٣) .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد ، صص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) Madame Juliette Adam : L'Agnleterre en Egypt, pp. 201, 202.

(٣) مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية .ص ص ١١٠ ، ١١١ .

وقد طالب جورست الحكومة البريطانية باجراءات صارمة لوضع حد لتطرف الوطنيين وخاصة الذين يعملون على إثارة الفتن ضد بريطانيا ، تلك الفتن التى ازدادت واتسمت بالعنف منذ أن أغتيل رئيس الوزراء ، وقد أصبح من المستحيل المحافظة على النظام بدون أن تسفك الدماء وأوضح أنه من المستحيل احتواء الفتنة مع التمسك بالطرق الإدارية أو القانونية المألوفة .(١)

ومعنى ذلك أن جورست يريد أن يستفيد من هذه الأزمة لضرب الحركة الوطنية باتخاذ اجراءات استثنائية .

والحقيقة أن الإستعمار كان هو الوحيد المستفيد من هذا الشقاق وقد ازدادت الفتنة ، واضطر قادتهما لأحرار وفى مقدمتهم ويصا واصف ومرقص حنا إلى التردد وقتا ما عن متابعة الحركة الوطنية مراعاة لإحساس الفريق الساخط من الأقباط وبذلك خسرت الحركة الوطنية إلى وقت ما إسهامهم فيها . (٢)

وقد أثر ابتعاد هؤلاء الأحرار على الحركة الوطنية ، ونشط جورست للقضاء عليها . وأرسل إلى حكومته مقترحا لتلافى المخاطر المتوقعة ، نفى واحد أو اثنين من القادة الوطنيين المتسمين بالعنف ، وضرب مثالا على ذلك بأن نفى الشيخ جاويش الذى يشكل تهديدا مستمرا للنظام العام سيؤدى إلى تغير كبير . وأنه ليس هناك نصوص فى القانون المصرى تمكن السلطات من التعامل بفاعلية مع المثيرين الخطرين للفتنة .(٣)

---

(١) Public Record Office : F.O. 407/175, No. 37, Gorst to Grey, Cairo, May 1910.

من الوثائق المنشوره بملاحق كتاب مصطفى النحاس جبر يوسف: سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنيه ١٩٠٦ – ١٩١٤ ، (وثيقه رقم ٧) ، صص ٢٢٣ ، ٢٢٤

(٢) عبد الرحمن الرافعى محمد فريد ، ص ١٨٨ .

(٣) Public Record Office : F.O. 407/175, No. 37 Gorst to Grey, Cairo May, 6, 1910.

حاول محمد فريد الدفاع عن الحركة الوطنية ، التى اهتزت بشدة من جراء الفتنة ، فدعا أعضاء الحزب فى أوربا عددا كثيرا من النواب الأحرار والكتاب والصحفيين من مختلف الدول إلى مؤتمر فى بروكسل عقد فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٤ سبتمبر ١٩١٠ .(١)

وقد نشرت أعمال هذا المؤتمر بالفرنسية فى مجلد من ٥٠٠ صفحة واقد وجه بلنت رسالة مؤثرة إلى هذا المؤتمر .

زادت إجراءات سلطات الاحتلال فى محاربة الحركة الوطنية فسنت قانونا بمحاكمة الصحافة أمام محكمة الجنايات بتاريخ ١٦ يونيو سنة ١٩١٠ وعلى أن يكون حكمها غير قابل للاستئناف .(٢)

وعقب هذا القانون قدم الشيخ جاويش إلى المحاكمة أمام المحاكم الجنائية عندما صدر كتاب من تأليف الشيخ على الغايانى باسم وطنيتى كتب مقدمته الشيخ جاويش ، وصدر الحكم بحبس الشيخ جاويش ثلاثة أشهر ، وحبس الشيخ الغاياتى سنة مع الشغل غيابيا ، وكانت النية تتجه إلى محاكمة محمد فريد فى نفس القضية لأنه كتب تقريظا لنفس الكتاب ، ولكنه كان خارج البلاد ، وفعلا ما أن وطأت أقدامه أرض مصر فى أوائل سنة ١٩١١ حتى قدم إلى المحاكمة وصدر الحكم بسجنه ٦ شهور فى ٢٣ يناير من هذا العام .(٣)

وفى أثناء وجود محمد فريد فى السجن عقد المؤتمران القبطى والمصرى ولا أعتقد أن ذلك وليد مصادفة ، لأن عقد المؤتمرين وزعيم الحزب الوطنى بعيدا عن ساحة النضال سيؤدى إلى عدم تدخله بين الطرفين ، فتتفاقم الأزمة ، وتتدخل انجلترا لتفرض الحلول .

---

(١) Madame Juliette Adam : L'Angleterre en Egypte, p. 203.

(٢) دكتور محمود حلمى مصطفى : دراسات فى تاريخ مصر السياسى ، ص ٦٠ .

(٣) دكتور خليل صابات وآخران : حرية الصحافة فى مصر ، ص ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

وقد أعلن الحزب الوطنى من حيث المبدأ أنه لا للمسلمين وللأقباط على سواء وأن انجلترا وحدها صاحبة المصلحة فى أن تعقد فى مصر مثل تلك المؤتمرات ورفض صراحة الإشتراك فيه (١)

كان جورست معارضا لعقد المؤتمر القبطى الا أن أن الدوائر الإستعمارية حرصت على الإستفادة من هذه الفرصة وعدم اغضاب الأقباط فسمحت الحكومة المصرية بعقد المؤتمر وذلك على أثر أن جاءت برقية من لندن بهذا الشأن . وبعد أن تعهد الأقباط بعدم حدوث شىء يؤدى إلى الإخلال بالأمن ، وقد أيدت الدوائر الإستعمارية الإنجليزية من اعلامية إلى حكومية إلى حزبية عقد المؤتمر ، أنها ذهبت إلى عكس ماذهب إليه جورست فأرادت أن تستفيد من الإنقسام الذى يحدثه المؤتمر لتصفية الحركة الوطنية التى أصبحت تترنح تحت ضغط الإرهاب وسياسة الوقيعة بين العنصرين . وإنه إذا كان ثمة مايخشى من استثارة مشاعر المسلمين إلى الدرجة التى تهدد الامن العام فانه من الممكن موازنة المؤتمر القبطى بمؤتمر آخر للمسلمين ، وبهذا يرضى الاحتلال المسلمين ويكتسب ثقتهم بهذه المعارضة التى بدت من جورست للاقباط ، ثم من التأييد الذى حظى به المسلمين لعقد مؤتمرهم . وبهذه الوسيلة يكسب الإستعمار الطرفين ويسخر الطرفان بعضهما بعضا (٢).

عقد المؤتمر القبطى فى أسيوط يوم ٥ مارس سنة ١٩١١ بدعوة من مطران أسيوط وبرئاسة بشرى حنا ، وانحصرت مطالبه فى طلب العطلة يوم الأحد بجانب يوم الجمعة وأن تكون قاعدة التوظف هى الكفاءة وحدها بغض النظر عن نسبة الأقباط العددية ، ووضع نظام لمجالس المديريات يكفل الأقباط تمتعهم بالتعليم حتى لا يقتصر التعليم على الدين الإسلامى وحده فى المدارس الأولية ووضع نظام يكفل تمثيل كل عنصر مصرى فى المجالس النيابية وجعل الخزينة العمومية مصدرا للانفاق على جميع المرافق المصرية . (٣)

---

(١) Madame Juliette Adam : L'Angleterre en Egypte, p. 213.

(٢) دكتور محمود حلمى دراسات فى تاريخ مصر السياسى ص ٦٦

(٣) مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركه الوطنيه. ص ص ١١٨ ، ١١٩ .

وقد أثار هذا المؤتمر حمية المسلمين الذين عملوا من جانبهم إلى عقد مؤتمر فى القاهرة برياسة مصطفى رياض باشا(١) وقد أو عزت الوزارة إليه بقبول الرياسة ، على شيخوخته ، ولو لم يكن الاحتلال مغتبطا لهذه الحركة ، أو راضيا عنها لما فكرت الوزارة فى تأييدها ، ومما يؤيد ذلك أيضاً أن جميع مواضيع المؤتمر المصرى قد خلت من أى معارضة للاحتلال أو انتقاد لسياسته ، أو المطالبة له بتحقيق وعوده ، فى حين أن طابع المؤتمرات الوطنية فى ذلك العهد إنما هو توجيه الأمة لمقاومة الاحتلال والجهاد فى سبيل الاستقلال . ومما يستوقف النظر حقا أن خطباء المؤتمرين لم يقولوا كلمة ضد الاحتلال .(٢)

عقد المؤتمر المصرى فى ٢٩ أبريل سنة ١٩١١ واستهله رياض باشا بحث المؤتمرين على مراعاة العدالة وتأييد الروابط الوطنية فى مناقشاتهم ، وأن يكون التسامح الذى عرف عنه الإسلام رائدهم ، ثم تلاه أحمد لطفى السيد الذى أكد بدوره أن المؤتمر لم ينعقد إلا ليبحث فى المصلحة العامة ولينظر فى التوفيق بين العناصر المؤلفة للوحدة المصرية التى كاد يتصدع بناؤها من جراء انعقاد المؤتمر القبطى .

وفى أعقاب المؤتمر سعى أصحاب الرأى من الفريقين لتخفيف حدة هذا النزاع وإقامة الدليل على أنه لا يقوم على أساس من الواقع ، وانتهى الأمر باعتذار كل من الفريقين للاخر .(٣)

ولا شك أن الموقف المعتدل لكثير من الأقباط هو الذى أدى إلى سرعة إحتواء الأزمة فى البحيرة مثلا أعلن الأقباط معارضة المؤتمر القبطى الذى عقد فى أسيوط .(٤)

---

(١) Madame Juliette Adam : L'Angleterre en Egypte, p. 213.

(٢) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد ، ص‌ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٣) دكتور محمود حلمى مصطفى : دراسات فى تاريخ مصر السياسى ، ص ٦٦ ، ٦٧

(٤) Public Record Office : F.O. 407/176, Enclosure No. 2, Note from the Adviser of the Interior to Mr. Cheetham, June 24, 1911.

من الوثائق المنشورة بملاحق كتاب : مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنيه ١٩٠٦ – ١٩١٤ وثيقه (١١) ، ص ٢٢٨ .

وقد أثار هذا المؤتمر حمية المسلمين الذين عملوا من جانبهم إلى عقد مؤتمر فى القاهرة برياسة مصطفى رياض باشا(١) وقد أو عزت الوزارة إليه بقبول الرياسة ، على شيخوخته ، ولو لم يكن الاحتلال مغتبطا لهذه الحركة ، أو راضيا عنها لما فكرت الوزارة فى تأييدها ، ومما يؤيد ذلك أيضاً أن جميع مواضيع المؤتمر المصرى قد خلت من أى معارضة للاحتلال أو انتقاد لسياسته ، أو المطالبة له بتحقيق وعوده ، فى حين أن طابع المؤتمرات الوطنية فى ذلك العهد إنما هو توجيه الأمة لمقاومة الاحتلال والجهاد فى سبيل الاستقلال . ومما يستوقف النظر حقا أن خطباء المؤتمرين لم يقولوا كلمة ضد الاحتلال .(٢)

عقد المؤتمر المصرى فى ٢٩ أبريل سنة ١٩١١ واستهله رياض باشا بحث المؤتمرين على مراعاة العدالة وتأييد الروابط الوطنية فى مناقشاتهم ، وأن يكون التسامح الذى عرف عنه الإسلام رائدهم ، ثم تلاه أحمد لطفى السيد الذى أكد بدوره أن المؤتمر لم ينعقد إلا ليبحث فى المصلحة العامة ولينظر فى التوفيق بين العناصر المؤلفة للوحدة المصرية التى كاد يتصدع بناؤها من جراء انعقاد المؤتمر القبطى .

وفى أعقاب المؤتمر سعى أصحاب الرأى من الفريقين لتخفيف حدة هذا النزاع وإقامة الدليل على أنه لا يقوم على أساس من الواقع ، وانتهى الأمر باعتذار كل من الفريقين للاخر .(٣)

ولا شك أن الموقف المعتدل لكثير من الأقباط هو الذى أدى إلى سرعة إحتواء الأزمة فنى البحيرة مثلا أعلن الأقباط معارضة المؤتمر القبطى الذى عقد فى أسيوط .(٤)

---

(١) Madame Juliette Adam : L'Angleterre en Egypte, p. 213.

(٢) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد ، ص‌ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٣) دكتور محمود حلمى مصطفى : دراسات فى تاريخ مصر السياسى ، ص ٦٦ ، ٦٧

(٤) Public Record Office : F.O. 407/176, Enclosure No. 2, Note from the Adviser of the Interior to Mr. Cheetham, June 24, 1911.

من الوثائق المنشورة بملاحق كتاب : مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنيه ١٩٠٦ – ١٩١٤ وثيقه (١١) ، ص ٢٢٨ .

وأمام فشل مؤامرات الإحتلال للتفريق بين المسلمين والأقباط لم يكن أمام كتشنر الا استخدام العنف الشديد ضد الحركة الوطنية فأغلقت الجرائد الوطنية واضطر الشيخ عبد العزيز جاويش إلى الهروب إلى الأستانة فى مارس سنة ١٩١٢ . ويستدعى محمد فريد فى ٢٥ مارس للتحقيق معه فى شأن الخطبة التى ألقاها فى الجمعية العمومية للحزب فى ٢٢ مارس وكان واضحا أن السلطات قد انتوت الحجز على حرية محمد فريد مما دعاه إلى مغادرة البلاد قبل أن يصدر الحكم عليه بالحبس سنة مع الشغل ، ولا تأتى نهاية العام حتى يكون أغلب زعماء الحزب الوطنى قد غادروا البلاد أو كفوا فعلا عن نشاطهم .(١)

لقد أراد الإستعمار بث الفرقة ليحقق مأربه وعندما فشل فى ذلك خلع القناع لضرب الحركة الوطنية ، وتطورت الأحداث لتعلن الأحكام العرفية وتفرض الرقابة على الصحف ثم تعلن بريطانيا الحماية على مصر .

ولكن استمرت الوحدة الوطنية التى قادها مصطفى كامل ومحمد فريد رغم مؤامرات الاستعمار وعندما أراد استخدام هذا السلاح فى ثورة سنة ١٩١٩ هب المسلمون والأقباط فى أروع مظاهرة للالتقاء حول هدف واحد هو الاستقلال وسقوط الاحتلال.

---

(١) دكتور خليل صابات وآخران : حرية الصحافة فى مصر ، ص‌ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

قائمة المراجع

أولا : وثائق منشورة :

Publie Record Office :

F.O. 407/174
407/175
407/176

نشرت فى ملاحق كتاب :

مصطفى النحاس جبر يوسف : سياسة الإحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ـ ١٩١٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

ثانيا : المصادر العربية :

١ ــ أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

٢ ــ دكتور خليل صابات د . سامى عزيز ، د . يونان لبيب رزق : حرية الصحافة فى مصر ١٨٩٨ ــ ١٩٢٤ ، مكتبة الوعى العربى ، ١٩٧٢ .

٣ صبحى وحيده : فى أصول المسألة المصرية : الانجلو المصرية ١٩٥٠

٤ ــ عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الإحتلال (تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢ (الطبعة الثالثة ــ الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ .

٥ ــ عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية (تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٢ إلى ، ١٩٠٨ (الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢.

٦ ــ عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد ــ رمز الإخلاص والتضحية (تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ (الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٢ .

٧ ــ عبد العظيم محمد إبراهيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٦ ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر . ١٩٦٨ .

٨ ــ على محمد بركات : السياسة البريطانية واسترداد السودان ١٨٨٩ ــ ١٨٩٩ ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .

٩ ــ دكتور محمد أحمد أنيس : تطور المجتمع المصرى من الإقطاع إلى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، القاهرة ١٩٧٧ .

١٠ ــ د . محمود حلمى مصطفى : دراسات فى تاريخ مصر السياسى (سياسة انجلترا الداخلية من ١٨٨٢ ــ ١٩٥٢) ، مكتبة الطليعة بأسيوط .

١١ ــ مصطفى النحاس جبريوسف : سياسة الإحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ ــ ١٩١٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

١٢ ــ د . يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٥ .

ثالثا : المصادر الأجنبية :

Ad am (Madame Juliette) : L'Angleterre en Egypte, Paris, 1922.

Lloyd, Lord : Egypt Since, Cromer, Vol. 1 London, 1933.

رابعا : الدوريات :

ــ اللواء .

ــ الوطن .

ــ الوقائع المصرية .

ــ مصر .

ــ مصر الفتاة .